

مداخلة

طاهر المصري

ضمن الاسبوع الثقافي لرابطة الكتاب الاردنيين

٢١-٢٨ كانون اول ١٩٩٦

عمان في ٢٢/١٢/١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضور الكرام ،

سياسات الدول لا ترسم نتيجة لتحكم العواطف او ردود الفعل ، بل تكون مبنية على استراتيجيات وبعد نظر وتخطيط . وهذا بعض ما يميز الدول الحضارية والديموقراطية التي تحكمها المؤسسات ، وبين دول العالم الثالث .

وعندما ذهبت دول الطوق ، ومن بينها الاردن ، الى مؤتمر مدريد للتفاوض حول حل الصراع العربي الاسرائيلي ، لم يكن هذا الفعل نتيجة لاستراتيجية معدة او تخطيط . ولم يكن التوقيت خيارنا ولكنه كان بفعل ظرف اقليمي ودولي فرض نفسه على العالم العربي ، ولم يكن هناك بديل عنه او مفر منه . واصبح السلام شعارا " ترفعه كل البلدان العربية بل هدفا " استراتيجيا " تأمل كل الدول العربية في الوصول اليه ضمن ثوابت ومفاهيم تعلن عنها هذه الدول . ومن هذه الثوابت ان يكون السلام دائما " وشاملا " وعادلا " يعيد للفلسطينيين والعرب كافة حقوقهم ضمن الشرعية الدولية . ولن ابحت هنا في اختلاف السياسات بين الدول العربية وفي الاجتهادات والتصرفات المتباينة ضمن نطاق المفهوم العام للسلام ، فهذا ليس بحثنا اليوم . ولكن الامر الذي يجب علينا ان لا نختلف عليه ولا ان يتم تأويله باي فذلكه سياسية او تلاعب لفظي ، هو ان السلام المطلوب تحقيقه يجب ان لا يكون على حساب الهوية والتراث والمستقبل .

لقد طغت على السطح منذ سنوات اصطلاحات وتعابير سياسية كانت تتردد بين الفينة والاخرى بشكل باهت ومبهم . ولكنها اصبحت الان ذات معان واعتبارات اوضح من السابق . فالتعاون الاقليمي ، والشرق الاوسط الجديد تعابير سياسية بدأت تحل محل العالم العربي او الامة العربية او الجامعة العربية . وفي تقديري فان العامل المتغير والجديد في تعبير العالم العربي هو في ادخال اسرائيل اولا " وتركيا ثانيا " الى المعادلة العربية . ويبقى المحذور من الوجود التركي في هذه المعادلة محدودا " جدا " ، خاصة في ظل التطور الداخلي الواضح فيها

والذي يجعل التقارب التركي مع الدول العربية والاسلامية اقرب من اى وقت مضى . ولكن الرقم الخطر في معادلة الشرق اوسطية هو اسرائيل .

وواضح لنا جميعا" الان ان المشروع الصهيوني بكل تفاصيله لا زال قيد التنفيذ ، ولم يتم انجازه بعد . وضمن حلقات هذا المشروع هو جعل كل فلسطين ارض اسرائيل . وحقبة نتيا هو سوف تنفذ هذا الامر لتضيف حلقة جديدة الى حلقات المشروع الصهيوني . وبشكل متوازن مع ذلك ، فان اسرائيل تعمل بجد على تأمين هيمنتها على الاقليم العربي . وهي تفعل ذلك بعدة طرق ووسائل .

- تقوي نفسها عسكريا" وتتزود باحدث الاسلحة واكثرها فتكا" . بينما مصادر التسلح العربية تنضب باستمرار . كما انها تحول اقتصادها يتعامل مع الصناعات ذات القيمة المضافة العالية وتركز على الصناعات التقنية والتكنولوجيا . وقد اصبح معدل دخل الفرد الاسرائيلي حوالي ١٦ الف دولار ، ويخططون لرفعه الى ٢٠ الف دولار خلال سنوات قليلة . بينما لا يتجاوز دخل الفرد في الدول العربية غير النفطية ١٣٠٠ دولار كما هو الحال في الاردن .

- تقوي من نفوذها في المجتمعات الغربية ، خاصة الولايات المتحدة . وقد اصبحت شبكة اصدقاء اسرائيل واليهود تسيطر على كافة مواقع صناعة القرار هناك . وتستخدم الولايات المتحدة نفوذها في كل المجالات ولدى كل الدول لدعم قضايا اسرائيل واليهود .

- تتحرك بقوة وذكاء في اطراف العالم العربي . ولدى اسرائيل الان نفوذ هام في بلدان مثل ارتيريا والحبشة وكينيا وبلدان افريقيا اخرى . وهي تستعمل الواجهة الارتيرية لكي تفرض وضعها العسكري على باب المندب . واحتلال جزر حنيش ما هو الا مثال على ذلك . كما انها تتأمر مع الدول الافريقية المتاخمة لبحيرة فكتوريا والانهر التي تخرج منها لمحاصرة السودان ومصر في شريان حياتهما وهو الماء . كما انها عقدت اتفاقيات تحالف عسكري مع تركيا ، تتجاوز في مضمونها واهدافها ما هو معطن عنه . وتهدف هذه الاتفاقيات ضمن ما تهدف اليه الوصول الى ايران وتدمير قدراتها التسليحية والثورية ، السيطرة على مصادر المياه التي تروي سوريا والعراق معا" .

- تتدخل في العالم العربي لتزيد من نشرذمه ومن توسيع مواقع الضعف فيه ، حتى تبقى الدول العربية في صراع داخل مجتمع كل دولة فيها وبين دوله . واذا ما قيل مؤخرا" بان بعض الاحزاب في العالم العربي قد توقفت او تجمدت طروحاتها وشعاراتها عند حقبة الخمسينات ، وان هذه الاحزاب وهذه الطروحات والشعارات قد اصبحت خارج اطار المرحلة ، وهذا قول صحيح . فانه صحيح ايضا" ان العديد من الانظمة العربية ينطبق عليها مثل هذا الوصف . وانها عقبة امام التطور العربي لمواجهة التقدم السياسي والاقتصادي والعسكري والتكنولوجي الاسرائيلي . وبالتالي فانها تسمح من حيث تدري او لا تدري للمشروع الصهيوني باحكام الطوق على المواطن العربي والقطر العربي والعالم العربي والامعان في شرذمته واضعافه سياسيا" واقتصاديا" ومعيشيا" .

ان الاعلان الذي اصدرته الحكومة الامريكية بتاريخ ١٥/١١/١٩٩٦ بقرار الرئيس الامريكي كلينتون باعتبار الاردن حليفا" رئيسيا" للولايات المتحدة لم يصدر من جانب واحد . بل لا بد ان الجانبين الاردني والامريكي قد اتفقا على بنود هذا القرار وهذا التحالف وجرى تعميم كامل على كل جرى وما تم الاتفاق عليه . وهذا القرار له جوانب وابعاد سياسية اعمق واهم كثيرا" من الجانب التسليحي منه . فهو يضع الاردن واسرائيل ، التي حظيت بهذا الاعتبار قبلنا بسنوات عديدة ، تحت مظلة عسكرية وامنية وسياسية واحدة ، وهي المظلة الامريكية . كما ان اسرائيل قد وقعت اتفاقيات عسكرية بعيدة المدى ، كما شرحت اعلاه ، مع تركيا . وترتبط تركيا مع الولايات المتحدة بعلاقات تحالفية من خلال عضويتها في حلف الاطلسي . كما اعلن مؤخرا" ان الاردن يجري مفاوضات جدية لتوقيع معاهدة دفاع مع تركيا . هذه الشبكة من الاتفاقيات والاحلاف ما بين اسرائيل وتركيا والاردن والولايات المتحدة توصلنا الى نتيجة واضحة وهي ان خارطة الشرق الاوسط ترسم الان بشكل جديد وان اداة الرسم هي الولايات المتحدة اولاً" واسرائيل ثانياً .

في مثل هذه الظروف ، فانني لا اقبل بصيغة الشرق اوسطية . هناك وضع وحيد
اسمح لنفسى ان اعتبر قيام هذه الصيغة مقبولاً" ، هو عند قيام السلام الشامل والعدل واعادة
الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني . وكذلك عندما
يتحقق المشروع النهضوي العربي على كل ساحات العالم العربي . ساعتذ نكون جاهزين
للمشروع الشرق اوسطي . وعندها نجلس على الطاولة على مستوى الند وليس الضعيف او
المنكسر . وتعادل القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية امر هام وحاسم للوصول الى
الحقوق . ويجب علينا ان نكون قد تعلمنا من صيغة اوسلو

التي امليت بسبب الخلل في ميزان القوى . ونحن نرى ما جرته الاختلالات على الواقع
الفلسطيني والعربي . ان اقاليم العالم الاخرى تسير بشكل حثيث نحو التعاون الاقليمي ،
وايجاد صيغ للتعايش الاقتصادي والسياسي . ولكنها هناك تنطلق من نقاط التعاون الحقيقي ،
والنديه وحسن النية . اما في منطقتنا ، فان مظاهر التوسع والهيمنة والسيطرة لازالت
تسيطر على تلك التوجهات والسياسات . ونحن امة عربية عميقة الجذور موعلة في القدم
والتراث والحضارة . ولا يمكن الا ان يكون خيارنا الاول عربيا" ثم اقليميا" .

على كل حال ، فإن من سيعطل صيغة الشرق اوسطية هو بنيامين نتياهو ، لأن تلك
الصيغة ، من وجهة نظره وعقيدته ، يجب ان تتبلور عندما تكون اسرائيل جاهزة لهذا الامر .
وجاهزية اسرائيل تتحقق بتحقيق الشعار الصهيوني المعروف : ان اسرائيل ، وعاصمتها
الابدية القدس ، هي كل ارض فلسطين .